17 me Année No. 813

Lundi — 31 — 1 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨١٣ « القاهرة في يوم الاثنين أول ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٣١ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

قروية فيلسوفة

لا يا صديقي ! لا أريد أن تَبيضّ صحيفتي ! كان المشاق لا يطيقون الرقيب وله عين ، فكيف يطيقونه اليوم وله عين ولسان ، وقلم وسلطان ؟ دعنا من حديث شرق الأردن والعراق والجامعة ، وتعال أحدثك حديثاً رقيقاً رقيقاً ، إن خلا من الفائدة فلا يخلو من اللذة ، وإن بعد عما يشغل الناس فلا يبعد عما يشغل النفس :

أم عامر قروية شيخة ، تعد الستين في سرها ، ولكنها كسائر النساء لا تجاوز الثلاثين في جهرها . وهي في سبيل التدليل على استحارة شبابها واكتمال قواها تتحامل على نفسها ، فتحلب الجاموسة ، وتملأ الزير ، وتخبز الفطير ، وتكنس الدار ، وتكسح الزريبة ، وتعلف الماشية ، وتطهو الطبيخ ، وتحمل في عنقها مفاتيح الحبوب والنقود واللبن والكرار ، فلا يستطيع أحد من أولادها وأحفادها أن يصل إلى شيء من أولئك إلا عن يدها . فإذا أشفقت عليها كنّتاها ورغبتا في أن تعيناها على شأن من شؤون المنزل ، قالت لها في كبرياء وأنفة : أنا لا أزال صبية مثالكما ! عليكما النمط ، وعليّ البيت ! والحق أن السيدة أم عامر قوية ذكية : تمرست بالشدائد فازدادت مرّة ، وتصرفت في الأمور فاكتسبت خبرة ، واضطربت في المعاش على هوى الزمن القلّب فتصلبت بالتجربة ، وتفلسفت بالسليقة ؛ فكلامها حِكَم ، وحديثها أمثال ، ورأيها حجة . ومن أجل ذلك تميزت شخصيتها في المجتمع الريفي فأصبحت كالمرأة في العهد القديم ، تستخيرها كل امرأة ، وتستشيرها كل أسرة . وهي إلى ذلك طويلة الأنف تدسه في كل منزل ، تمرّغاء الأذن ترهفها إلى كل مجلس ؛ فلا يقع في العزبة حادث أو حديث إلا كان عندها علمه ومن لدنها ذيوعه .

رأيتها صباح يوم من أيام ديسمبر جالسة في الجرن تنزع الأغلفة عن أمطار الذرة المندّاة ، وجفيدها الصغير نائم على كتفها ، وكلبها الأبقع رابض بقربها ، وحائم البرج القريب ينتهز غفلتها النادرة فيقتنص من وراء ظهرها على جانب الفرش يقتلعن الحب من قوالحه . وكان الفلاحون ونساؤهم قد خرجوا إلى الحقول ، صغارهم ليسيموا الأنعام في البرسيم الندي ، وكبارهم ليطهروا المصارف من الغرين الراسب ، فلم يبق في الضيعة إلا عجوز تستدفئ بالشمس ، أو طفلة تلعب في الطين ، أو دجاجة تبحث في الأرض . فأغراني هدوء المكان ، ودفء الجو ، وما سمته عن حال العجوز ، على أن أذهب إليها . فحيتها ، ثم جلست إزاءها على أعواد الذرة اليابسة وسألتها : كيف حالك يا أم عامر ؟ فأجابت العجوز بلهجة تنم على الرضا والغبطة : حالي خير حال والحمد لله ! العيش مخبوز ، والماء في الكوز ، فماذا أبغي فوق ذلك ؟ فقلت لها : وهل يقنع ابن آدم ؟ تبغين الأرض المملوكة ، والدار المشيدة ، والثوب الحرير ، والمركب الفاره ، واللحم في كل وجبة ! فقالت وهي تضحك : هبني يا سيدي أصبحت (بدراوية) ، عندي

(البقية على صفحة ١٥٥)

احمد حسن الزيات